المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 23-11-2007
الصفحـات : 19
العـــدد : 16284
المسلسل : 157

ملف صحفي

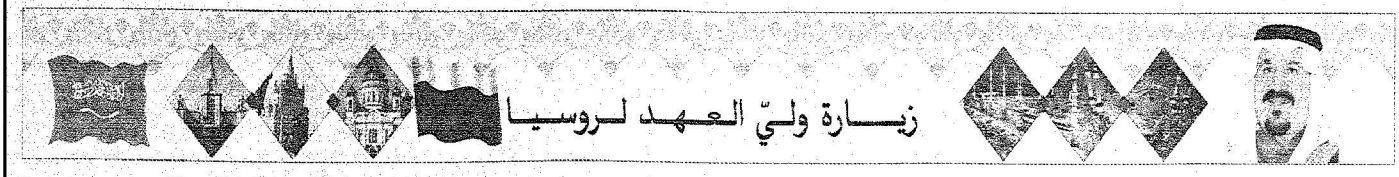

المملكة وروسيا في ضوء زيارة سلطان لموسكو

علاقات تضرب في جذور التاريخ .. وشراكة تحلّق في آفاق الواقع

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 23-11-2007 العـــدد : 16284
الصفحـات : 19 المسلسل : 157

إبراهيم عباس- جدة

شكّلت زيارة سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبدالعزيز لموسكو مرحلة جديدة في العلاقات بين البلدين الصديقين التي تعتبر الأطول في تاريخ العلاقات بين موسكو والدول العربية، وحيث ظلت المملكة تقدّر لهذا البلد العظيم بأنه البلد الأول في العالم الذي اعترف بكيانها الوليد عام ١٩٢٦ فور الإعلان عنه مباشرة.

واكتسبت الزيارة أهميتها كونها اقترنت بشخصية سعودية رفيعة المستوى هي شخصية سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وبما تمثله تلك الشخصية من وزن ومكانة في هرم السلطة السعودية وما يعكسه ذلك من أهمية بارزة سواءً من جهة تطوير العلاقات الروسية - السعودية أو من جهة تعزيز دور روسيا في اللجنة الرباعية وإعطائها دورًا أكبر في حل قضايا المنطقة، وعلى الأخص قضية السلام في الشرق الأوسط.

الزيارة أكدت على أن التعاون السعودي الروسي في مرحلته الراهنة لم يعد يقتصر على قطاع الطاقة، بل تجاوز تلك المرحلة وامتد إلى آفاق أرحب ليشمل مجالات التجارة والاستثمار المشترك والجوانب الثقافية وجوانب الاتصالات الإنسانية، وحيث تم إطلاق العديد من أقمار الاتصالات السعودية من خلال هذا المجال الحيوي. كما واكتسبت الزيارة دلالة هامة أخرى كونها تمت قبيل بضعة أيام من لقاء أنابوليس المرتقب، وبعد بضعة أيام من عقد قمة أوبك الثالثة في الرياض التي ترأسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وعشية الانتخابات الرئاسية اللبنانية وحيث شهدت موسكو زيارة للنائب سعد الحريري في غضون ذلك تأكيدًا على الدور الروسي في العمل على نزع فتيل الأزمة اللبنانية ضمن الجهود الدولية والإقليمية التي تبذل بهذا الصدد.

الاعتراف الأول

كان الاتحاد السوفيتي أول دولة أعلنت اعترافها بالمملكة في ١٩٢٦/٢/١٦. وقد اختار الروس قنصلا مسلما ليمثلهم لدى الملك عبدالعزيز وهو «كريم خان حكيموف»، والذي قابله الملك عبدالعزيز في مكة خلال حصار جدة، حيث عبر للملك عبدالعزيز عن دعم الاتحاد السوفيتي له. وقد كتب حكيموف في ١٦ فبراير ١٩٢٦ خطابا إلى الملك عبدالعزيز جاء فيه: "أتشرف بتكليف من حكومتي، بإحاطة جلالتكم علما بأن حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، انطلاقا من مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها واحترامها لإرادة الشعب الحجازي التي تجلّت في اختياركم ملكا عليه، تعترف بجلالتكم ملكا على الحجاز وسلطانا لنجد وملحقاتها. وبناءً عليه تعتبر الحكومة السوفيتية نفسها في حالة علاقات دبلوماسية طبيعية مع حكومة جلالتكم".

ونتيجة للاتصالات الودية التي قامت بين البلدين في ذلك الوقت، قام الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٢٩ برفع مستوى التمثيل الدبلوماسي بينه وبين حكومة الملك عبدالعزيز إلى «مفوضية». وقد سمح الملك عبدالعزيز بتدفق البضائع الروسية إلى جدة. وفي عام ١٩٣١ وقّعت حكومة الحجاز مع منظمة التجارة السوفيتية اتفاقية يتم بموجبها توريد الكيروسين والغازولين للسعودية.

ويمكن القول في العموم إن العلاقات السعودية الروسية مرت بثلاث مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى (١٩٢٦-١٩٣٥): وهي مرحلة اعتراف الاتحاد السوفيتي بالملك عبدالعزيز ملكًا للحجاز ونجد وملحقاتها.

وقد توّجت تلك المرحلة بزيارة وزير الخارجية الأمير فيصل بن عبدالعزيز «حينذاك» إلى موسكو. وقد شهدت تلك المرحلة في نهايتها فتورًا لاعتبارات سياسية واقتصادية، إضافة إلى ظهور توزيع جديد للقوى الدولية في المنطقة وهي على أعتاب الحرب العالمية الثانية «فأفرغت هذه العلاقة الثنائية من قيمتها الحقيقية» وانتهت تلك المرحلة بسحب موسكو لسفيرها.

المرحلة الثانية: امتدت من قطع العلاقات بين البلدين عام ١٩٣٥ وحتى نهاية عقد الثمانينيات وإعلان الاتحاد السوفيتي برئاسة الرئيس جورباتشوف نظام إعادة البناء «بروسترويكا»، والانسحاب من أفغانستان، وقيام سمو وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل بزيارة لموسكو ومقابلة الرئيس جورباتشوف خلال ذلك.

احترام متبادل

وبالرغم من قطع العلاقات بين البلدين على هذا المدى الطويل، إلا أن تصريحات المسؤولين السعوديين المتكررة ظلت تؤكد على احترام وتقدير المملكة العربية السعودية لمواقف الاتحاد السوفيتي الإيجابية. ففي حديث الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية عن علاقات الاتحاد السوفيتي قال ذات مرة: "يجب عدم إعطاء العلاقات الدبلوماسية وزنًا أكثر من اللازم. فعدم وجود علاقات دبلوماسية بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتي لا يعني تجاهل المملكة للاتحاد السوفيتي. المملكة معترفة بالاتحاد السوفيتي وكان لها علاقات

المصـــــدر :	المدينة المنورة		
التـــاريخ :	23-11-2007	العـــدد :	16284
الصفحـات :	19	المسلسل :	157

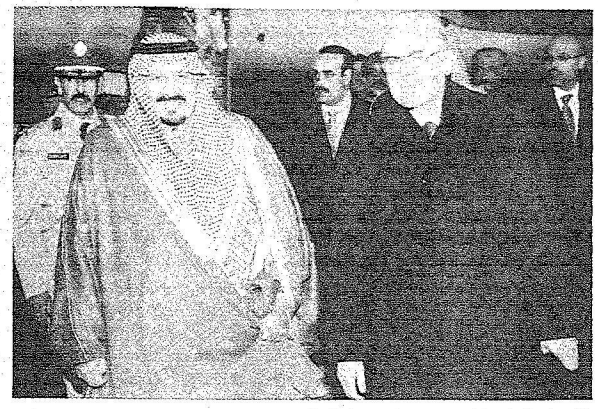

نائب وزير الخارجية الروسي يستقبل سموه في المطار

واس

بدبلوماسية معه ولم تنه المملكة هذه العلاقات، إنما الذي أنهاها هو الاتحاد السوفيتي نفسه عندما سحب بعثته من جدة في الثلاثينيات. ودون شك فالقرار السوفيتي لم يكن سببه عداء للمملكة إنما الذي أدى إليه هو عدم وجود تعامل بين البلدين. المملكة العربية السعودية ليس لها علاقات مع دول كثيرة في العالم، وليس فقط مع الاتحاد السوفيتي، منها دول نامية، ومنها دول متقدمة، وسبب ذلك ليس لأننا لا نعترف بهذه الدول أو أننا نتجاهلها، ولكن فقط لأن ليس هناك تعامل بيننا برر في الفترة السابقة التي مرت وجود علاقات دبلوماسية".

وقال سموه في موضع آخر: "إن عدم وجود علاقات دبلوماسية بين الرياض وموسكو لا يعني أن المملكة ليست مقدّرة كل التقدير موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الفلسطينية والنزاع العربي الإسرائيلي بشكل خاص ونحن نقدّر في هذه الحقبة التاريخية موقف الاتحاد السوفيتي في هذا الموضوع كل التي تنوّه بسياسة المملكة وتمتدح خطها العام".

وفي عام ١٩٨٧ سافر مستشار خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -وبتوجيه منه -يرحمه الله- الدكتور معروف الدواليبي إلى قصر الكرملين، وكان غورميكو رئيسًا للجمهورية، ولكن المسيطر هو سكرتير الحزب غورباتشوف، واجتمع الدواليبي بشيفرنادزه وبعض المسؤولين، وكانت الثورة الأفغانية على أشدها. وبحث الدواليبي مع المسؤولين السوفيات القضية الأفغانية، وحاول إقناعهم بأن حربهم للمجاهدين ليست في مصلحتهم، وحيث وجد كلامه أننا صاغية منهم من خلال الوعد بالخروج من أفغانستان، وهو ما تحقق بالفعل بعد فترة ليست طويلة من تلك الزيارة.

ويعتبر العام ١٩٩١ الانطلاقة الحقيقية لهذه المرحلة بعد استئناف التمثيل الدبلوماسي بين المملكة العربية السعودية وجمهورية روسيا الاتحادية. بيد أن عقد التسعينيات بكامله لم يؤتِ ثماره، إذ كانت العلاقات خلاله أشبه بعلاقات المجاملة.

بداية الانطلاقة

تعدّ زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز لموسكو في ٢٠٠٣/٩/٣ «وكان وليًا للعهد حينذاك» التدشين الحقيقي لبدء علاقات الشراكة بين البلدين الصديقين. وقد كانت تلك الزيارة البداية الحقيقية لإستراتيجية التوجه شرقًا في علاقات المملكة بدول العالم ضمن تطلعها نحو تحقيق التوازن والشراكة في علاقاتها مع الدول المتقدمة شرقًا وغربًا تطلعًا نحو تحقيق مصالحها الوطنية ومصالح أمتها العربية والإسلامية.

وكان التوجه نحو موسكو له أسبابه ودوافعه، ليس أقلها تقدمها العلمي والصناعي والتكنولوجي، وباعتبارها المصدّر الأكبر للبترول في العالم بعد المملكة وإحدى الدول العملاقة في استخراج الغاز وفي الصناعة النفطية والتنقيب عن البترول بشكل عام. إلى جانب اعتبارها إحدى القوتين العظميين في العالم، وكونها عضوًا دائمًا في مجلس الأمن الدولي، والنادي الدولي النووي، وطرفًا رئيسًا في اللجنة الرباعية

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 23-11-2007 العـــدد : 16284
الصفحـات : 19 المسلسل : 157

المعنية بأزمة الشرق الأوسط، لذا فإن دورها -كما ذكر سموه لوكالة «إيتار تاس» الروسية- يتسم بالأهمية الكبيرة في دعم الجهود الإقليمية والدولية لإيجاد الحل العادل والدائم والشامل لأزمة الشرق الأوسط والقائم على مبادئ الشرعية الدولية وقراراتها.

وروسيا كونها الدولة الأوروبية التي تضم أكبر عدد من المسلمين في أوروبا «حوالي ٢٠ مليوناً» فإنها لابد وأن تستقطب اهتمام المملكة التي تعتبر نفسها الدولة التي ترعى شؤون المسلمين وقضاياهم ومصالحهم في مختلف أنحاء العالم باعتبارها قبلة المسلمين ومعقل الإسلام وأرض الحرمين الشريفين.

وأهم ما تمخّضت عنه تلك الزيارة التاريخية لأول عاهل سعودي لموسكو.. توقيع الاتفاقية السعودية - الروسية للتعاون في مجال النفط والغاز وتبادل المعلومات والتقارير الخاصة بوضع السوق العالمية للنفط، والعمل على استقرارها.

كما اتفق الجانبان على تشكيل فريق عمل مشترك للتعاون في المجال النفطي يضم ممثلين عن وزارة الطاقة الروسية ووزارة النفط والثروات الطبيعية السعودية يقوم بتنظيم اجتماعات دورية في روسيا والمملكة من أجل مناقشة مسائل تقديم التعاون بين البلدين في مجال النفط والغاز. وشملت مذكرة التعاون في المجال العلمي والتقني بين أكاديمية العلوم الروسية ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية تبادل العلماء والمختصين بهدف القيام بإجراء الأبحاث والدورات والمشاورات المشتركة، وأيضاً تبادل الخبرات والمعلومات ذات الطابع العلمي التقني.

ولابد من الإشارة هنا إلى ما أعطته تلك الزيارة من دفع لمسيرة العلاقة والصداقة بين البلدين على كافة الأصعدة، وما تبع هذه الزيارة من تبادل للزيارات بين قيادة ومسؤولي البلدين، وحيث اعتبرت زيارة الرئيس فلاديمير بوتين محطة هامة وعلامة بارزة في مسيرة تلك العلاقات باعتباره أول زعيم روسي يزور المملكة.

زيارة ناجحة

توّجت زيارة سمو ولي العهد لروسيا العلاقات التاريخية بين البلدين التي لابد وأن تترك آثارها الإيجابية في استقرار سوق النفط العالمية وتحقيق المصالح المشتركة ودعم الاقتصاد العالمي، وحيث تظل الطموحات السعودية والروسية أكبر مما أمكن تحقيقه حتى الآن في الوصول بالعلاقات الاقتصادية إلى تكريس الشراكة التجارية ونقل التقنية وزيادة حجم الاستثمارات وإقامة المشاريع المشتركة التي تحقق مصلحة البلدين والشعبين الصديقين، وهو ما أوضحه سمو ولي العهد في حديثه لوكالة أنباء «إيتار تاس» الروسية في تطرقه لكافة جوانب التعاون بين المملكة وروسيا، وحيث هدفت الزيارة بالدرجة الأولى إلى البحث في أفضل السبل لتوطيد التعاون الثنائي وسبل تطويره في كافة المجالات السياسية والمالية والاقتصادية والتجارية والصناعية والعلمية والتقنية والفنية والثقافية، وأيضاً البحث في القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك وبما يسهم في تعزيز التعاون والتفاهم بين البلدين والدفع بها إلى آفاق أرحب، إلى جانب تقريب وجهات النظر وإعطاء روسيا دوراً أكبر في عملية السلام في الشرق الأوسط.

وأتاحت زيارة سمو ولي العهد لروسيا الفرصة لإعطاء صورة واضحة لما تم في مؤتمر قمة دول أوبك الثالثة التي عقدت عشية الزيارة حيث أوضح سموه أهداف المملكة من تلك القمة المتمثلة في توفير الإمدادات الآمنة والمستقرة للطاقة، ودعم الرخاء العالمي وحماية البيئة، وحيث أعلنت المملكة عن موقفها على لسان خادم الحرمين الشريفين بأن رخاء العالم وحدة واحدة، وأن البترول طاقة للبناء والعمران ولا يجب أن يتحول إلى وسيلة للنزاع والأهواء، وحيث أصبح من المؤكد أن استقرار سوق النفط مسؤولية مشتركة بين المنتجين والمستهلكين، وهو ما أمكن قراءته في إعلان الرياض الذي صدر في نهاية القمة. كما أعطت الزيارة لسموه الفرصة لرؤية المملكة حول أفضل السبل لمكافحة الإرهاب من واقع تجربتها الناجحة، وأيضاً تطلّعها نحو زيادة آفاق التعاون الأمني بين البلدين في إطار مجموعة العمل الأمنية المشتركة للتعاون في مكافحة الإرهاب التي تم الاتفاق عليها عام ٢٠٠٦ وما يتيحه ذلك من تعاون بشكل مباشر من خلال الاجتماعات الدورية لهذه اللجنة بهدف تبادل المعلومات والتنسيق واتخاذ الإجراءات المناسبة في هذا الإطار.

ولاشك أن حرص سمو ولي العهد على تسليط الضوء على الموقف السعودي إزاء عملية السلام في تطوراتها الجديدة وضرورة توسع الدور الروسي على هذا الصعيد يعكس اهتمام المملكة بالقضية الفلسطينية التي تعتبرها جوهر النزاع في المنطقة، وتسعى إلى التوصل إلى حل عادل ودائم وشامل لها من خلال التمسك بمبادرة السلام العربية. كما أوضح سموه أن تعثّر مشاريع الحلول السلمية يعود إلى عاملين رئيسيين، الأول: استمرار التعنّت الإسرائيلي في الاستجابة لمبادرات ودعوات السلام، والثاني: تركيز بعض المشاريع السلمية الأخرى على حل تداعيات النزاع دون جوهره، مما أدى إلى استمرار حالة التوتر والصراع.